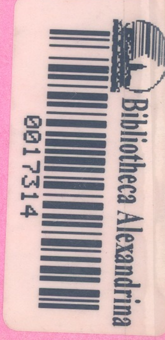
كتابك

٥٦

حسن النجار

الشعر فى المعركة





كتابك ٥٦

رئيس التحرير أنيس منصور

حسن النجار

الشعر فى المعركة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

مدخل

فى تمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ٧٣ أذيعت كلمة السر « الشرارة » على جميع أفراد قواتنا المسلحة المتأهبين . . وكان هذا إيذاناً بأن يتفجر بركان الغضب العربى الذى ظل حبيس الصدور طيلة سبع سنوات دامية ، مكتسحاً أمامه كل حواجز الخوف والفقر النفسى – الهزيمة ، ليبدأ واقعاً جديداً فى حياتنا . .

والذين واكبوا هذا الحدث الانقلابى الهام بالكتابة عنه كثيرون – إن تسجيلاً وإن إبداعاً – لكن القليلين منهم استطاعوا الوثوب من خلال انصهار نشاطهم الإبداعى – الشعرى خاصة – إلى مستوى القفزة الهائلة التى قفزها جنود مصر الأوفياء . ثم الدخول فى مغامرة تطلبت أهم المضامين والصياغات الشعرية التى ترقى إلى مستوى ما قد تم حدوثه . . أو الاقتراب منه .

وستقتصر محاولتنا فى هذا البحث على كشف الأقنعة عن وجوه أعطت هذا الزمن منذ ساعاته الأولى رؤيته الشعرية المناضلة . ونعترف بداية بأن ما نحن مقبلون عليه الآن ليس القصد من ورائه الدخول فى محاولات نقدية لهذه الصياغات ، بقدر ما هو تحديد للإطار العام لخريطة ما نتفق على تسميته « بالرؤية اليوتوبية لزمن الحرب » والتى تشكلت لدى

أصحابها من خلال تفاعلاتهم الإبداعية المبكرة والتلقائية المصاحبة لحركة الحدث – الحرب الفعلية فى زمانها ومكانها . وبمعنى آخر استكناه باطن الومضات الشعورية الخاطفة ، التى واكب اندلاعها اندلاع الحرب نفسها فى لحظاتها الأولى ، واكتشاف مدى ما أعطت إياه الحرب والشعر من قيم تعد بمثابة وثائق أو شاهد صدق على عصر الخروج .

وسنرتكز فى ذلك على محورين اثنين :

الأول : ما يندرج من صياغات تحت مرحلة ما قبل زمن الساعة الثانية ، والاجتهادات التى بشرت به **شعراً لشعراء** محاربين وغير محاربين .

الثانى : ما يندرج منها تحت مرحلة الساعة الثانية نفسها ، وهو ما قصدنا تسميته «بالتصور اليوتوبى لزمن الحرب» وسيدعونا ذلك إلى الوقوف طويلاً أمام صياغات هذه المرحلة ، خاصة تلك التى نجحت فى الاقتراب من هذا التصور . ويندرج تحت هذه المرحلة فئتان من الشعراء :

(ا) المحاربون من خلال امتثالهم لحالة الزمن – الحرب الفعلية .

(ب) غير المحاربين من خلال نشاطهم الإبداعى المثار بفعل الحرب .

١

لا تبحثوا عن عنوان : إنها الحرب

نعترف بدآية بأن هذا العنوان المستعار من قصة للأديب المقاتل : قاسم مسعد عليوة ، قد أعفانا من مشقة البحث عن عنوان آخر لهذا الفصل ، لأنه أقرب العناوين لما نريد أن نتحدث عنه . . فنقول : برغم تعدد أغراض الشعر العربي – قديمه وحديثه – فإن هناك مجالين اثنين يرقى من خلالهما وجه الإنسانية الناصع إلى ذروته ، حيث يتدفق فيهما تيار الزخم الشعري تدفقاً يفوق ما عداه من أغراض الشعر الأخرى ، وهما مجالا : الحب والحرب . . .

ففى الحرب كما هو فى الحب ، ينشد المحارب الخلاص له ولمن يحب ، والمقصود بحب المحارب هنا هو وطن بأكمله يحمله راضياً مرضيًّا داخل أصلابه ، وليس بخلاص إنسان بذاته كما يحدث فى الحب عادة .

إننا فى الحب نسعى للنهوض بعالمنا الخاص من خلال عشقنا للمحبوبة ، فنراها فى كل ما تقع عليه أعيننا ، ونضفى عليها من صفات ربما لا تكون فيها ، لكننا نأمل أن يتحقق لنا ذلك فى يوم ما . فنحن فى مسعانا العشقى نحاول جذب المحبوبة من المنطقة المأهولة – حياة العامة –

إلى منطقة يصعب على الآخرين مسها ولو بالنظر ، برغم ارتفاع عقيرتنا بالغناء المتواصل بما نراه فيها من صفات ربما لا يراها غيرنا . ونحن إنما نفعل ذلك لكى نشهد الآخرين مقدار ما نكابده فى هذا الحب من قوى وصراعات ، لكننا فى الوقت ذاته لا نريد لأحد أن يرانا فى ممارستنا لهذا الحب ، ونحتفظ بها سرًّا من أسرارنا .

إن عشقنا للأنثى عاطفة شديدة الخصوصية . يكابدها الإنسان وحده لوقوعها تحت وطأة عادات المجتمع وتقاليده . ولذا فإننا نتفاوت فى درجات هذا النوع من الحب ، وربما لا نتفق فى شكله أو فى مسلكه أو فى الغاية من ورائه . لكننا لا نقوى على الحياة بدونه .

وإذا كنا قد أطلنا فى موضوع حبنا للأنثى . فلأنه يقترب بدرجة أو بأخرى من موضوع حبنا للمرأة الكبرى – الوطن . ويتجلى هذا الحب الأكبر من خلال أصعب المواقف وأشدها عنفاً وشراسة . . وعلى رأسها الحرب بلا منازع . فالحرب عاطفة ترادف عاطفة الحب من حيث القوة والتوهج . بما تخلفه فينا من وجد هادر لا نقوى على كبح جماحه . أو التستر عليه خشية لائم . فنحن نمشى إليها متباهين باندفاعنا فيها . وبقدرتنا على التضحية – الوفاء العظيم فى زمانها . خاصة إذا كانت هذه الحرب قائمة بالدرجة الأولى – ليس على اغتصاب أرض الغير – وإنما من أجل استرداد ما اغتصب منا . فهى إذن حالة وجد علنى تنهض بالمجتمع قاطبة لتعيد صياغة واقعه من جديد بحيث يكون أكثر قبولاً

للجميع . وفى هذه الحالة يكون لنا حق الشرعية فى الانضواء تحت لوائها ، والانصهار فى بوتقتها بكل الرضا والقناعة والشوق . . ويكون الإنسان المحارب أكثر الجميع وعياً بها ، ومدركاً لكل معطياتها . وتزداد درجة الوعى والإدراك إذا كان هذا المحارب شاعراً يملك ما لا يملكه غيره من حدس جمالى هو أقرب إلى حدس المتصوفة ، وقدرة على استدعاء ما ليس فى مقدور غيره من رؤى وتصورات ، بما يمكنه من أن يخوضها بوجدان أكثر امتثالاً للتأثر العميق بها . . فيقدر من خلال التصاقه الحميم بها على ربط الصورة الواقعية بالصورة الخيالية ، ومزج لحظة الفعل الآتية بما يمكن أن يحدث مستقبلاً

فهو الإنسان القادر إذن على استيفاء مسوغات ما سبق أن اتفقنا على تسميته « بالتصور اليوتوبى لزمن يحترق فيه الوطن بغية الوصول إلى زمن أفضل » .

وقد تمتزج العاطفتان معاً – الحرب والحب – فى لحظة وجد واحدة ، يتساوى فيها الوطن بالمحبوبة الأنثى . وقد سبقنا إلى تلك المزاوجة والمزج عنترة بن شداد ، حين كان يخوض حرباً ضروساً يحقق فيها النصر على أعدائه فينال قلب عبلة . وقد عبر عن ذلك فى قوله :

« ولقد ذكرتكِ والرماح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم »

لكن ما هذا الشيء الذى أطلقنا عليه ابتداء « التصور اليوتوبى لزمن الحرب » ؟ ربما لا بصل إلى مدلول جليٍّ لهذه العبارة إلا من عانق انصهاره تحت نيران زمنين اثنين لا ينساهما تاريخنا الحديث ، وهما : نيران الخامس من يونيو ٦٧ . ونيران السادس من أكتوبر ٧٣ . وما بينهما .

فى الخامس من يونيو ٦٧ لم يتح لنا جو الهزيمة القاتم أن نستجلى تفسيراً جدليًّا لما حدث ، لأننا كنا واقعين تحت تأثير ضربة قوية مباغتة أفقدتنا الوعى . لكن أمكننا التوصل إلى بصيص ضئيل ، حين عبَّر جنودنا المنهزمون فى أسى وذهول عن تبرير لما حدث فقالوا :

« إننا لم نقو على مجابهة العدو لتخلى السماء عنا ، لأننا كنا قد بعدنا كثيراً عن ارتباطنا بالدين » .

وقد كان هذا دافعاً لأن تتدارك القوات المسلحة مغزى ذلك التبرير حين ابتدأت تمارس عملية إعادة بنائها من جديد . فارتكزت على العنصر الدينى كوسيلة هامة لصياغة عقيدتها القتالية تحت شعار « النصر أو الشهادة » وهو شعار مستمد من تاريخ جهادنا الإسلامى القديم .

وقد صاحب ذلك على مستوى الجبهة الداخلية أن يمم المثقفون بجميع طوائفهم وجوههم شطر التاريخ القديم – خاصة الإسلامى –

ليس ارتداداً عن الواقع الحضارى المعاش ، بل محاولة جاهدة لاستلهام ما حفل به تراثنا النابض من رؤى واكتشافات ، وتأكيد انتمائنا للأصالة . ثم اتجهوا بكل ما حملوا إلى دحر الواقع المر وهدمه ، كحل لصياغة وجدان الوطن من جديد على أسس راسخة . حتى إنه عندما حل زمن الساعة الثانية فى أكتوبر ٧٣ عبَّر عنه ثلاثة من جنودنا بعفوية فرحة قائلين :

– لقد كنا نشم عبيراً قادماً إلينا من سيناء ونحن ندخلها .

– لقد كانت تحارب عنا السماء حين أنزلت علينا طيوراً خضراء تساعدنا .

– لقد كانت طلقات مدافعنا تخرج على شكل حمامات بيضاء تنزل على العدو كالصاعقة .

فمن استقرائنا لكل هذه الترديدات التى جاءت عفوية على لسان أصحابها بعد تخليصها من كل ما هو خرافى ، ولما انشغل به المثقفون بعد تنقيته من كل سلبياته ، نستطيع أن نصل إلى ما سبق أن طرحناه تساؤلاً :

ما هو التصور اليوتوبى لزمن الحرب ؟

واليوتوبيا بمعناها المتعارف عليه علميًّا هى مدينة المثل أو المدينة الفاضلة . وقد انشغل الفلاسفة منذ أن كانت الفلسفة أم المعرفة بالبحث عن عالم أفضل بعد أن هالهم ما رأوا الحياة من حولهم تفيض بالشرور

والآثام ، تستنفدان كل طاقات الإنسان الخلاقة . وجاهد كل منهم من خلال منطلقاته الفكرية والرؤيوية معاً فى خلق النظرية – النموذج لحياة سعيدة متوازنة لا تتبدد فيها طاقات البشر ، وعندما أطلقوا عليها اسم المدينة لأنهم كانوا ينظرون إلى الحركة المستقبلة للتاريخ . فالعالم منذ بدء الخليقة كان يتحول تدريجيًّا إلى التحضر لا البدائية التى انخلع منها . . وكان ضروريا أن يختلف نهج كل منهم عن نهج الآخرين فى ذلك المسعى ، فكما أن أفلاطون أول المؤسسين للجمهورية المثالية فى التاريخ قد سلك النهج العلمى فى تأسيسها ، فإن داننج قد سعى إلى أن تكون يوتوبياه صورة يهفو إليها الخيال . . لكنهم – وبرغم اختلاف مناهجهم – كانوا يشتركون جميعاً فى تحقيق نظام مثالى للمدينة عن طريق الانسجام الذى يحقق بالتالى لساكنيها صيغة التوازن النفسى والأخلاقى ؛ بما يوفر لهم السعادة المنشودة .

هذا هو باختصار المفهوم العلمى لمعنى اليوتوبيا بدون الدخول فى تفريعاتها التى ربما لا يحتملها كثيراً مجال دراستنا .

فماذا عن صلة ذلك بما حاوله شعراء الساعة الثانية ؟

قد يكون من التعسف أن نطبق كل تلك المقاييس العلمية لهؤلاء الفلاسفة على ما حاوله شعراؤنا – وكلهم خياليون أكثر منهم عقلانيين – لكن الذى حدث حقًّا هو أن هؤلاء الشعراء قد توصلوا بمجاهداتهم الشعرية إلى تخوم الرؤية اليوتوبية من خلال اكتشافهم لأنفسهم ولقواها

التى كانت غائبة عنهم أولاً ، واكتشافهم للأرضية الإنسانية المشتركة التى أقاموا عليها علاقاتهم الجديدة بالوطن من وسط لهب المعركة ثانياً . وبإيجاز شديد نستطيع أن نخلص إلى ماهية هذا التصور اليوتوبى لزمن الحرب عند شعراء الساعة الثانية فنقول :

إنه يتمثل فى بناء عالم متزن مكتمل الهوية والقدرات ، تم استخلاص عناصره وأدواته عنوة من قلب الصراعات الشديدة التنافر . عالم يولد ويستكمل ملامح توهجه وصلابته من توهج وصلابة قلب الشاعر المحارب . . إن هذا العالم المكتشف لا يتأتى طواعية من بؤرة الوعى البحت ، ولا من بؤرة اللاوعى البحت ، وإنما يتأتى صافياً رقراقاً من تزاوج الاثنين معاً . . فهو شبيه إلى حد كبير بعالم الأساطير الجميلة ذات الخرافة المحببة ، حيث تتصالح فيه الأضداد لتصير كياناً متوحد القوة . . متوحد الجمال .

٢

رحلة البحث عن الزمن اليوتوبى ؟

ربما لا نستطيع تحديد التوقيت المنضبط الذى بدأ من عنده الشعراء الدخول فى مغامرة البحث عن الزمن اليوتوبى . . لكن من خلال استقرائنا لما ألم بالوطن فيما بين أعوام (٦٧–٧٣) يمكننا– وبحذر شديد– وضع أيدينا على أقرب المواقيت لنلمس موضع هذا الزمن المنشود .

فقد عشنا جميعاً ملحمة الحياة الصعبة على امتداد سنواتها السبع العجاف ، والتى بدأ ببدايتها دفء الرؤية وعلت حميتها عند نهايتها .

فبعد أن تخلصت مشاعر الشعراء رويداً رويداً من حمى الإدانة والندب والصراخ– الفجع ، كان آخرها ما صرخت به قصيدة أمل دنقل «لا وقت للبكاء» حين قال :

«الشمس هذه التى تأتى من الشرق بلا استحياء
كيف ترى تمر فوق الضفة الأخرى ،
ولا تجىء مطفأة
والنسمة التى تمر فى هبوبها على مخيم الأعداء

كيف ترى نشمها فلا تسد الأنف ،
أو تحترق الرئة ؟
وهذه الخرائط التى صارت بها سيناء
عبرية الأسماء
كيف نراها دون أن يصيبنا العمى ؟ »

بعدها دخل الشعراء خفافاً مرحلة الإفاقة الذاتية أولاً ، ثم الجماعية ثانياً . إلى أن تلبستهم حالة من الوله الغريب بحب ما فى هذا الوطن : أرضاً وسماء . . جوعاً وشبعاً . . ظمأ وريًّا . . هموماً وآمالاً . . موتاً وحياة .

وكان ذلك بمثابة اكتشاف جديد لطعم انتمائهم إليه ، فاستعادت قواهم من ثم توازنها المفعم برائحة التخطى والبحث عن الجسارة .

وقد أنبتت هذه المرحلة جيلاً جديداً من الشعراء ، نموا وترعرعوا تحت وطأة نيران متقطعة . . فكان عليهم أن يصحوا مع إشراقة كل صبح على صوت نفير يصيح «أن هبوا» أو على صوت مذيع يذيع بلاغاً عسكريا مقتضبا . . ثم يطئون الأرض بأقدامهم فيلمسون سخونة حصاها ورمالها الخشنة . . إنه الجيل الذى حمل على أكتافه عبء الإعداد ليوم يجىء ، فتوجهوا بما فى كائنات قصائدهم إلى رفض ما ليس مفضياً إلى زمن الإرادة – الفعل . . باستنبات البذرة الجنين فى بطن هذا الوادى المتلهف شبقاً لرائحة الحنين إلى الحمل الجديد .

وسنختار من قصائد هذه المرحلة أهم النماذج الشابة التى كانت تقربنا إلى المكان الذى كنا نستطيع منه التحديق ببصيرة الزرقاء– نسبة إلى زرقاء اليمامة– واستنشاق رائحة الزمن القادم. وإذا كانت هذه النماذج لم تصل بعد إلى مرحلة النضج الكافى، فلأن أصحابها وهم أبناء هذه المرحلة الضيقة الشاقة، كان لزاماً عليهم أن يتحسسوا مواطئ أقدامهم بغير تمهل، لانشغالهم بالرحيل السريع إلى زمن يتقربون إليه يوماً بعد يوم.

وسنكتفى بالإشارة هنا إلى أهم نماذج بعضهم– وهم كثيرون– استشهاداً على توجيهات هذه المرحلة :

يقول الشاعر أحمد سويلم :

« قد تجيئين من عالم المستحيل . .
تسألين الحشود التى وقفت فى انتظارك
تسألين الشوارع والسوق والمكتبات ودور
العبادة والدرس . . أين مريدوك أين بنوك
القدامى ؟ وأين الورود التى سامرتك المساء
البعيد ؟ وأين مواعيدك الطيبات ؟ وأين حروف
الحقيقة والأبجدية ؟
أين . . ألا تذكرين زمان العبادة ياربة الحب

أين . . ألا تذكرين المعارك من أجل عينيك والشهداء ،
رفعنا بماء الجراح شراعك . . .
ثم حين فقدنا السواعد يوماً حفرنا لواءك بين العيون ولم ينتكس .
قد تجيئين من عالم المستحيل . . متى ترجعين؟ »

يقول الشاعر فوزى خضر :

« قرأت المدائن : أبراجها وسراديبها
وقرأت القرى ،
وإذا ما وضعت الثمار على أذنى
أسمع الدورة الأبدية . . أرقب
جلد الجذور فألمح بدءاً وموتاً وبدءًا
يطل على فألمحى من ثنياتها . .
أشرئب إلىّ : فتغدو الخطى أعصرا »

يقول الشاعر أمجد ريان :

« حين هربتُ إلى سجنكِ فى الليل وصرتُ أدندن
تحت النافذة المحفورة قدامك فى الزنزانة ،
حين نظرت بعينيك السوداوين وسقطت من عينيك
السوداوين الدمعة فوق الأرض الطيبة لكى

تنبت قدامى زهرة قمح ، حين ظللت أغنى حولك
وتمنيت ورحت ألملم من حبي صوفاً ونسيجاً كي
أغزل ثوباً يدفئك بأيام قاسية ملعونة ،
ووعدتك بالزحف إليك ومعى الفرسان لكى نبقر بطن
الأحقاد وكنت جوارك طول الليل وودعتك عند
الفجر وفى رأسى يشرق فجر عملاق . »

يقول الشاعر وليد منير :

« تسألنى أن أمنح النهر طريقاً ، أن أحول الرياح عن
مسارها لكى لا تنحنى فى وجهها الأشجار ، أن أوقف
عمر الأرض حتى يجمع الإنسان بين لحظة الفعل ولحظة
الإرادة .
تسألنى برغم عام الجوع والرمادة .
أن أغسل السماء فى زرقة عينيك وأن أجدد
البيعة والشهادة .
تسألنى أن أمنح الأحزان . .
ذاكرة . . أن أستعيد وجهك الطالع من
خرائط الحلم ومن حواضر البلدان . . »

يقول الشاعر صلاح اللقانى منادياً فرسه :

«أقبل وهز دمى . .
وارفس بحافرك المفضض جبهتى
وانفض بحنجرتى
قمراً وشمساً تمسح العتمة
أطلق على عمرى سباع النار
لتطير بى حتى تخوم الويل محمولاً بلا رحمة
فترن أيامى على جبل النحاس وتشعل الكلمة
جزراً من البرق المعبأ بالردى والنور
يا آتياً من باطن الأشياء ينفخ فى البلاد الصور
مدداً . . وعفر بالسنا روحى وأنزل فى يدى غيمة
طال الطريق الوعر بين الفجر والظلمة
وسمعت صوتاً . . خلته مطراً على دربى
لكنما كان وجهك يبتغى وطناً
فبكيت من فرط الحنين وشقة السفر
وعلمت ، ليس سوى دمى ترضى به ثمناً
فاحلل . . رضيت بقسمتى وضراوة الخطر»

ويقول الشاعر مفرح كريم :

«كنت أعرف ما لون عينيك . .
كانت ثياب العواصف حجى وسجادة الرمل
بيتى ومهازة الريح صوتى الذى يختبى فى
جيوب الهواء .
وكان الرفاق يرون عيونك مثلى وكنا عيون القبيلة
فى الزمن البربرى ودرع التصدى وناى الغناء .
ومركبة الرحل نحو اشتجار العواصف . . »

يقول الشاعر أحمد الحوتى :

«أسير إليك وأنت انتظارى
وأنت ارتحال وأنت قصيدة
تدمدم خلف رياح الشمال فيكبر خطوى
وأمتد فى كل شىء ولا أستريح . .
ويكبر حبك فى كل يوم يلم جروحى ويزهو
بما صوحته الشموس . . وتزهو الغلال
يفاجئنى كل شىء فيمنحنى رايتى وانتظارى
ويحملنى عبر موت الصحارى

فأرجع طفلاً وأشرب من كفك المرمرى
رياح التجدد . .
وينضج طعم الزمان بصدرى فأعشق يومى
وأنتظر الشمس أن تمتطى شوقنا
وتلقى لنا بدماء العزيمة . . »

نول الشاعر طلعت شاهين :

«حين أجوس بعينيك أصير الدوامة
تقتلع الأشياء
وأصير الفارس أغزو كل مناطقك المجهولة
مرتسماً فيها أبياتاً من نار وعناقيداً من
أحرف أضواء الشعر . .
يصبح شعرى أشرعة الكشف ، أصير
الملاح الصاعد فوق الكتل الموجية أتصيد
نورس دفء البحر . .
فتعالى واغتسلى فى صدرى من ملح البحر
صيرى زوبعة تتعالى فوق الأشياء
تقتلع الغابات وتفتح فى صدرك نهراً»

* * *

وغير هؤلاء كثيرون بما لا يتسع المجال لذكرهم خرجوا جميعاً من معطف سنوات ما بين ٦٧ – ٧٣ . ونماذج بعضهم التى سقناها الآن دليل على توجهات هذه المرحلة ، إنما تكشف عن نفسها بغير التواء أو نطاعة .

إنهم ماضون حثيثاً فى رحلة البحث المضنية عن ملامح امرأة ليست ككل النساء . . إنها امرأة بحجم الأم إذا غاب عنها الأبناء أو غابت عنهم . . يتشممون رائحتها فى كل ما تلتقى به حواسهم . . يبحثون عن ملامحهم فى ملامحها المطمورة فى بطن الوادى . . ويتوددون إليها بالشعائر والطقوس وصلة الرحم كى تخرج إليهم فتلتئم عظامهم بعظامها . .

إنهم (هى وهم) إيزيس وأوزوريس . . وقد عرفت أقدامهم موضعها الصحيح على أول الطريق ، حين اشتموا أنفاسها (الأمومة) فى التقاء الشىء بنقيضه :

الليل بالنهار – العطش بالماء – الماء المالح بالماء القراح – الموت بالحياة . ولعل القارئ المتأنى يشاركنا الوقوف على الآتى فيما عرضناه من نماذج لهؤلاء الشعراء :

١ – خلو قصائدهم من صرخات الإدانة والندب .
٢ – ما يشيع فيها من التفاؤل وروح الجسارة .
٣ – بعدها عن الزخرفة اللفظية .

ولسنا هنا فى مجال تقييم هذه الأعمال من الناحية الفنية ، إذ يكفينا ما تحمله من ثقل بالشوق ، ورغبة فى استقدام زمن يرونه بأطراف أعينهم ، ويحسون وهجه فى خلاياهم . .

وربما لا نجد تفرقة واضحة فى ملامح من كان منهم فى صفوف القوات المسلحة وبين من كان خارجها ، فكلهم يجمع بينهم نفس التوق ونفس المعاناة ، وبدرجات متقاربة أيضاً . إذ كانوا فى سن اليفاعة— ما بين العشرين ودون الثلاثين— وهم فى كل أمة من الأمم وفى كل زمن من الأزمان ، يتحملون القدر الأكبر من عبء أوطانهم وتطويرها وتحريرها بما يملكونه من قدرات عفية لا يملكها غيرهم من بنى أوطانهم . .

إنها مرحلة السفر إذن إلى وادى اليوتوبيا . . وقد بشروا به وبزمانه وفى هذا الكفاية . .

* * *

٣

زمن اليوتوبيا

وهى المرحلة التى سنتوقف عندها طويلاً ، لأنها تحمل فى مضمونها جمع ما قصدناه . . وبحلولها يكون قد حل الزمن المنشود ، حيث التقت إيزيس بأوزوريس ليدخلا معاً دورة الحياة– البعث الجديد بكل ما يحملانه من عنف الوجد المنبعث من خلايا الكون بأسره . . إنها لحظة بطول الزمن وعرضه ، حيث لا يصير البشر بشراً . . ولا الدم دماً . . ولا الحب حبًّا . . ولا الموت موتاً . . ولا الحياة حياة .

إن كل شىء يتحول من معناه المألوف إلى ما فوق كونه الظاهر والكامن معاً . إنها المرحلة التى نستطيع بغير حذر تحديد توقيتها المنضبط . . إنها زمن الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ٧٣ . .

ففى هذه الساعة تحول كل ما فى الوطن بعد طويل انتظار إلى لحظة ولادة حقيقية . . فكان أن تفجرت قلوب الشعراء المصريين –محاربين وغير محاربين– فماذا قالوا ؟

ومن منهم استطاع الارتقاء بهذه اللحظة التى تساوى دهراً

بأكمله ، فيقيم منها - بكل ما فيه من قوى شعرية وغير شعرية - مدينته الفاضلة بكل عناصرها وكائناتها والعلاقات التى تحكم كل ذلك داخل إطاره الإبداعى الواعى - القصيدة ؟

وسوف نركز عن قصد على أهم النماذج التى صاغها أصحابها المحاربون كإبداع شعرى مقاتل ، لنرى كيف استطاعوا بالدم واللحم واللغة والوجدان صياغة الشكل الجديد لرؤية الزمن اليرتوبى . . وسوف يلزمنا ذلك بالضرورة عرض النصوص المختارة كاملة ثم الدخول معها دورة التحليل . مع الإشارة كذلك إلى الصياغات الأخرى لغير المحاربين . . لنرى أيًّا منهما كان أكثر اقتراباً من دائرة الزمن اليوتوبى .

لكن قبل الوصول إلى كل ذلك يجدر بنا الإلمام بأهم السمات المشتركة لدى شعراء هذه المرحلة :

١ - إطلاق رمز الأم أو المحبوبة على الوطن ، وقد تكون الأم عاقراً فى أغلب الأحيان إلى أن يجيئها المخاض . وقد تكون المحبوبة إنسانة مهانة تتداولها أيدى العابثين إلى أن يجيئها الشاعر - عاشقها الأوفى - فيضفى عليها صفة الأنثى ذات الخصوبة والبكارة ، وقد يزيد فيمنحها اسماً يلذ له مناداتها به .

٢ - الإكثار من استخدام كلمات بعينها مثل (النهر - الماء - الرمل - الصحراء - الهجير - الخيل - الصهيل - الأرض - الدماء - الرصاص - السفر - القصيدة - الريح - الفصول - الجند - الخوذة -

ثم أسماء بعض الطيور كالنسر أو العصافير – القناطر أو القنطرة) وبرغم ما تحويه كل هذه الكلمات من دلالات ذات إيحاءات خصبة وصادقة لأنها مستمدة من قاموس معايشتهم اليومية لجو الحرب ، إلا أن طريقة استخداماتها تكاد تكون متماثلة لدى الجميع . باستثناء القليلين الذين يكسبونها دلالات أكثر قدرة على التواصل ، ، حيث ترقى لديهم إلى ما هو أكثر من معناها المألوف . وذلك راجع لسببين : ا –

(ا) اختلاف نضج التجربة الشعرية فيما بينهم .

(ب) درجة الإسهام الفعلى فى الحرب ودور كل منهم فيها .

٣ – عند التقاء المحارب بالرمز الذى وقع عليه اختياره خلال أوج الصراع يكون اللقاء فى شكل عرس دموى أو تتويج .

٤ – تكون الأفعال المستخدمة فى القصيدة قبل إجراء مراسم العرس أو التتويج واقعة داخل إطار الزمن الماضى ، تتحول بعده إلى أفعال مضارعة حين يتم التلاقى ، وأحياناً يتصالح الفعلان فى زمن واحد .

٥ – يكون الوطن بكل قسماته حاضراً حضوراً نفسيًّا وأخلاقيًّا وتاريخيًّا وحضاريًّا فى لحظة اعتناق الشاعر بطوطمه .

٦– يستهوى بعض الشعراء استخدام الشكل التدويرى للقصيدة سعياً وراء الحداثة ، دون أن يكون لهم دراية كافية . بمفهوم التدوير . علماً بأن التدوير ليس وحده الشكل الأمثل لكى تدخل القصيدة من خلاله موطن الحداثة .

وبرغم هذه السمات المشتركة فإن لكل منهم طريقاً ومسلكاً يتبعها فى الالتفاف حول تجربته البطولية داخل أرض اليوتوبيا .

وعلينا أن نسجل ظاهرة هامة كشفت عنها القصائد التى كتبها أصحابها من قلب المعركة تتمثل فى اتسام إيقاعاتها بالسرعة والملاحقة لأنها كتبت من خلال المعايشة الفعلية لوقائع الحرب فى ميدانها (كر وفر) حيث لم يتوفر لأصحابها الوقت الكافى ولا المكان الهادئ ولا الأدوات الميسرة (بعضهم كتب قصائده على علب السجاير وعلى أغطية خوذاتهم) وبالرغم من ذلك فقد جاءت أكثر صدقاً وأشد انتماء للحرب . . إضافة إلى جوها الساخن العنيف ، لأنها كانت خارجة لتوها من قلب اللهب المنتشر ما بين السماء والأرض ، وكان على الشاعر ألا يترك اللحظة المواتية تمر دون أن يقبض عليها بكلتا يديه ، ويحيلها إلى طلقة مباشرة فى صدر العدو . . أو إلى قطرة حب دافئة إلى الوطن .

القصيدة الأولى :

الرقص على طلقات الرصاص

للشاعر أحمد الحوتى

«وجئتك سيناء— قلبى شظية

وعيناى مفتونة بالقتال . .

وأنشودة للرمال الحبالى تسابق خطوى

فتعدو الرمال . .

* * *

فماذا بعينيك غير الرصاص ولون الوجوه

التى لخصت عمرها واستراحت . .

وألقت إلى الرمل سر التواصل ، والذكريات

تساقطن فوق المعابر مثل رياح الخريف

وكنت أحس بأن الدماء بكفى تمزق

مارتبته الفصول وتمتد حتى ثمار البروق ،

فحاصرت شوقى وكسرت شقفة ما قد يخون

وما قد تحجز تحت دمى . .

لينفر من داخلى وجه أمى كوجه الجنود .

* * *

أحبك . . هل ترقصين معى اليوم؟
كل البلاغات مثل الرمال ومثل الشظايا كثيرة
فهل ترقصين . . ؟
وبينك والقلب شوط طويل من الحب والحرب
والجرح راية . .
ومئذنة فى ضميرى . .
وخلف التلال رؤى لا تحيد .
وعند اللقاء تعرفت نفسى وقبلت أول
حفنة رمل . . ودوى انفجار . .
فعودت نفسى عليك . .
وليس يفرق بين المحب وبين القتيل سوى
الموت نفسه . .
(وهذا الشهيد يخاطب سعف النخيل هناك
وراء المعابر ، يترك فوق الشظية حلماً
ذبيحاً وحلماً جريئاً
فتزهر كل الشماريخ ترمى زمان التخاطب
والجوع . . تحكى)

ويهجر خوفى مساحته البربرية .
أحبك . . ليس يفرق بين المحب وبين القتيل
سوى الموت . .
ماذا تقول البلاغات . . إنى نسيت
هنا الأبجدية شىء جديد . . وأسطورة
(لا أحب المرايا ولا أحلم الآن بالمستحيل)
فهل ترقصين . . ؟
وأعرف ، هل من طريق إليك سوى هذه
الصرخات الأليمة .
وعنف الدوى
وكل الجراح تشير إليك فتعدو الجراح
تصير علامة
وهل أرفع الصوت فى الليل والليل يرفع عنى
القناع . . يعرى خطاى فأرقد فى ظل نجم
صغير : أحبك . .
وأنفض ما قد يعوق سلاحى فأشعر أن
الدماء تفر إليك وتضفر من كل نبض جديلة
تحدث بالنصل والمقصلة .

* * *

كأن الزمان تخلف عند المعابر
فصار المدى أول العمر . . آخره
والمدى فجوة والرصاص قناطر
وكل الرمال تعضد خطوى فتنمو بعينىّ
كل الوجوه التى أطفأت حزنها واستضاءت
وكل الوجوه التى لخصت فى المدى عمرها
فهل ترقصين ؟
وهل نعرف اليوم معنى التخاصر . . ؟

* * *

إن أحمد الحوتى أحد الشعراء الذين اكتشفوا هويتهم الشعرية فى مطلع السبعينيات ، وقد استفاد كثيراً من كل التجارب التى سبقته ، ومن كل إنجازاتها الضخمة التى نضجت على أيدى جيلين يسبقان جيله . وإضافة إلى ذلك فقد كان أحد المحاربين الذين أقاموا من أجسادهم جسراً عبرت عليه قوافل المحاربين من أقرانه .

وفى قصيدته يأخذنا منذ الوهلة الأولى فى سياحة عنيفة ، إنه يفتح لنا بغير كلفة أبواب مدينته الفاضلة ثم يدعونا للتجوال معه قائلاً : هذه هى أرض محبتى ، عليها أقيم وفيها تسكن كل كائناتى الأليفة (القلب الشظية – الرمال الحبالى – العيون الرصاص – البلاغات التى فى عداد الرمال والشظايا – الجرح الراية والجرح العلامة – المدى فجوة –

الرصاص قناطر – الشهيد الذى تكتحل عيناه ساعة الموت بالأحلام – وعندما يطلب النوم فإنما يطلبه فى ظل نجم صغير يمارس تحت ضوئه الخافت تجربة : أحبك) إن الشاعر على غير ما نعرفه عن الحرب من قتل ودمار ، فإنه يحيلها إلى رؤية عاطفية حين يدخلها مفتوناً بها . . مهتدياً بجو الصلات الحميمة التى انكسر تحتها زمن التخاصم والجوع . . فهو يرى كل شىء من حوله يعيش مرحلة انتسابه إلى زمن الخصوبة – الحب الذى لا يحد .

وسنتوقف عند ثلاث صياغات وردت فى سياق القصيدة ، أوجزت جميعها لحظة هذا الحب السرمدى :

الأولى : «لينفر من داخلى وجه أمى كوجه الجنود» .

فبدلاً من أن نولد من لحم الأم ، فإن الشاعر خرقاً لقانون الطبيعة يستولدها من لحمه هو . إنها أشبه بعملية خروج حواء من لحم آدم . ولم يكتف بعملية الولادة هذه ، بل سواها فى صورة أم شجاعة . . تستمد بعثها البطولى من بعث أبنائها . . إن الشاعر هنا قد مارس عملية اكتشاف للرؤية . .

الثانية : « وهذا الشهيد . .

يترك فوق الشظية حلماً ذبيحاً وحلماً جريئا »

ولا أخال أحداً غير الدى رأى وأحس بأن الموت الذى تجىء به الحرب ، لا يقوى على قتل ما فينا من رغبة فى الحياة . . فالشهيد الذى

يسقط مضرجاً بدمائه يترك لنا إرث محبته (حلما ذبيحاً وحلماً جريئا) فنحن وفى زمن الحرب نطأ الحياة حبا كما نطأ الموت حباً . وليس يفرق بين الاثنين سوى الموت نفسه .

الثالثة : « المدى فجوة والرصاص قناطر »

فكيف يصير المدى فجوة . . مجرد ثقب صغير يعبرون منه على أكتاف رصاصاتهم ، لينفذوا إلى لحظة يستضىء فيها الكون استضاءة المولين وجوههم شطر العمر الذى يبدأ .

فى هذه الصياغات الثلاث كان يقترب الشاعر أكثر فأكثر من رمزه — الأم الشجاعة ، فينطلقان معاً داخل مملكة اليوتوبيا فى حفلة رقص دموى على إيقاع دوى الانفجار الذى عود نفسه عليه .

* * *

القصيدة الثانية :

ما تيسر من ملحمة العبور

للشاعر عبد الصبور منير

الطقوس :

سيُدفن الجسد
فى حفرة الرمل التى بلا علامة
يصبح تاجى خوذة وقطعة من بندقية مدمرة
كنت أحب أن يصير مطراً بوادى النيل
يروى الحقول والعيال المتعبين
لكن دورة الرحيل
تبدأ من هنا مع الرمال والرماد
فلترقبوا بعد سنين
وجهى مع الصحراء إذ يزهر . . والسنابل
إذ تملأ الحقول فى سينا وتفتح المنازل
على صبايا حرة الجنسية
يخطرن فى وادى النخيل فى الأُصيل

على عظامنا المنتشرة
نضحك فى السر . . وتصبح الملامح
واحدة . . وترعش القيامة
نولد ألف مرة ومرة
لو تصبح القلوب حرة كما الطريق حرة .

موال صحيان :

يا ليل . . شارع حبيبتى طويل . . ما فيهش غير قنديل
خلى الصبايا تميل . . تحت الظلال والنور . وترندح
المواويل . .
ما بين قلوب الدور . . باهواك يا شابة
ما ملفلفة قلبى . . ومسكنة تعبى . .
نبى العيون الحور . .
ريحك فاتت تجرى . فى الخندق اللى بعيد
بين الحضر والدار . . خلت صبايا البلد . . يتمشوا
فى الوادى . . أحميكو وأحمى الهوا من هجمة العادى
واتجمعوا أولادى . . قال الشباب : بالدور
وقف العيال فى طابور . .
كان البطل واقف . . حاضن بقلبه المدفع

هجموا العيال إعصار . . نحو السما زاحف
لُبّ التباب انخلع . والصخر فز ووقع
واتبعترت فى الجو . . ريحة البارود والخوف
خلى الكلام يحلو . والدنيا تصحى تشوف
مصر اللى واقفة صفوف . . متجسدة فى كفوف
شباب جديد حالف :
إن الربيع يتولد . . م الدبدبة والنار .

عيال عاديون :

– عليكم السلام
– ماذا جرى ؟
– حساب . .
– ومن فدوا واستشهدوا ؟
– شباب

إلى طه حسين مع حبى من سيناء :

بين يدى والصدر
تدور قطعة السلاح
إن الذى علمها الكفاح

يستشهد اليوم هناك
فيسقط الشباب هاهنا بلاعويل .
كنا نود أن تبارك الذى نحمله
فى القلب واليدين
لكن بيننا وبين وجهك النبيل
عمراً من العبور . . أو ثانيتين
يصبح كل شىء فى سماء الوطن الجميل
محملا بما منحت الجيل
أصالة . وعزة . . وفكر

* * *

فى آخر يوم عبورك يا مصر
ودعنا وجهكَ ساعة صفر
ورفعنا راية مصر على جثث الأعداء .

وعود بسيطة :

باسم الذين لم يدوروا خطوة للخلف
باسم الذين ارتفعت هاماتهم
برغم الشظى والخوف
باسم السلاح . . لم يرتجف فى كف

باسم الترابات التى تلونت بالدم والرجال
باسم الصبايا حبلت بالشوق والجسارة
باسم الذين يولدون . . وفى عروقهم محبة وخوف .
وفى عيونهم براءة الصبايا . . وفرح البشارة
وباسم كل طيبة ونبل
يزرعها وجه بنية وطفل
وباسم كل شارع وحارة
وكلمة تحيلنا حرارة
وباسم هم كل ليل
لن تنطفى شمس الكفاح
مالم تطول الدفء أيدى الكل .

* * *

وها نحن أولاء أمام تجربة من نوع آخر ، لشاعر آخر تمخضت عنه تربة مصر العفية . . وعلى امتداد القصيدة بأكملها لا نفتقد رائحة مصريتنا المنتشرة من خلال استنشاق عرق اليفاعة فى قلوب وأكف شبابها وصباياها وشيوخها . . وحتى الذين لم يولدوا بعد .

إنهم جميعاً يمثلون أنسجة الكون الذى يترجرج فيه جسد الشاعر المثقل بدفء الأحاسيس ونضارتها وبساطتها .

وقد استعان الشاعر بلغة الموال – مقطع كامل من قصيدته – إضافة

إلى لغة البساطة الحانية سعياً وراء اصطياد اللحظة المواتية من أقرب الطرق المؤدية إليها . بالرغم من ذلك فالقصيدة عمل درامى واسع النفاذ والجاذبية . وهى لا تخرج عن الدائرة نفسها التى التفت حولها تجربة الحوتى ، ولكن من منظور شعرى آخر . . إنه لا يستدعى أمًّا كىْ يمارس معها تجربة الحب – الرقص الدموى على إيقاعات دوى الحرب وانفجاراتها ، بل يستدعى شعباً بأكمله ليمارس معه لحظة انعتاق عائلى فوق ثرى مصر وتحت سمائها .

والقصيدة صيغت فى شكل مقاطع ليزيد من تنامى الحس الدرامى خطوة خطوة إلى الأمام . . إلى أن يتوجه فى نهايتها يقسم بكل ما هو غال فى الوطن « بألا تنطفى شمس الكفاح مالم يطل الدفء أيدى الكل » .

ولم تغب عن وعى الشاعر حتى وهو فى أشد اللحظات انشغالا بالحرب ملامح هذا الوطن المعشوق :

(صباياه – منازله – سنابله – نخيله – نيله – شوارعه وحاراته – وطه حسين الذى علم الجيل بأن يموت بلاعويل – وحتى الذين لم يولدوا بعد) إن عبد الصبور منير لم يصغ يوتبياه من خلال تضاد الأشياء كما فعل الحوتى ، بل صاغها من خلال تألفها وإيجاد صلة الرحم فيما بينها :

– يصبح تاجى خوذة وقطعة من بندقية مدمرة –
– وتفتح المنازل . . على صبايا حرة الجنسية –
– كنت أحب أن يصير مطراً بوادى النيل –

– الصبايا اللواتى يجبلن بالشوق والجسارة –

– الشباب الذى يسقط بلا عويل لأنه استمد حكمة ذلك من معلمه – إنهم حلم الشاعر وربيعه الذى يشهد ازدهاره وتفتحه من خلال «الدبدبة والنار . . والكلام الحلو الذى تأتى به ريح البارود» .

ولكن الشاعر يحمل بين جنبيه همًّا دفينا وغليظاً ، يحلم بأن تمحوه الحرب «لو تصبح القلوب حرة كما الطريق حرة» وهو يدرك أن هذه الرحلة الشاقة تبدأ من حيث «تصبح الملامح . واحدة وترعش القيامة» وها هى ذى قد رعشت رعشتها الأولى بالفعل .

* * *

القصيدة الثالثة :

الوقوف بامتداد الجسد على قصيدة الساعة الثانية

لكاتب الدراسة

١ – قراءة فى فصل الطوطم

كان النهار يبث أغنية ويرحل فى محاريث البلاد ،
يحل عقدته . . أنا أترقب الأشعار تحت سماوة
التدوين . .
ألبس معطفاً للريح ثم مغاطف أخرى لكل عشائر الأوزان ،
تنزل كل أطيار الظهيرة .
فأهز فى جسدى هلال الصيف – منديلى الذى تتنوس الرؤية به
وأقص عن خيلى التى ضاقت بها الأرباض
فاتكأت على عشب القوافى :
ها هى ذى الأرض استباحت عريها والشمس ناموس الذكورة .
(تطلعين معى سلماً ، درجات الصعود إلى
حربة الشمس . . هذا دم فى القلوب وهذى
كتابة أسمائنا فى جريد المراسم)

حلت قراءات البلاد . .
فأكلت خبز عشيرتى ناراً وأطلقت الرياح على فلول
القلب ، هذا اليوم مشهود وصيف حبيبتى غسل الدماء :
– أما رأيت الآن خفى المستطيل ؟
– أنا رأيت الله يضحك ضحكة ويسير
بين كتائب الأنصار . .
يا أرضاً مبهرجة أنا أترقب الأشعار فى ذكرى
حلول الخيل ثم أدور دورة قافية
كانت تمام الثانية
النسر مسح ريشه فى الماء ، حط على غلال الأرض ،
فرطها وجر وراءه ثور انتصاب الريح ثم تقصد
الرؤية وباض على قصيدة :
هذى السحابة لم تعد شمس الوطن
هذى السحابة شارفت حد الزوال
فاضرب علينا خيمة العشق الخطر
واشهد ولائم عرسنا يوم النزال .

مالم يرد ذكره فى بيان المتحدث العسكرى رقم (١) :
ألقت الأرض شعرتها فى يد الكون صارت نفير

الغرائز– قافية الحمحمة
فاستبان لنا فرح اللحم فى رقصها العائلى على
طبل أوزاننا – النار ،
يا جمرة الله صارت لنا حبرنا فاستعرنا أسنة
أبداننا وعرفنا الكتابة فى اللحم . .
كانت صحائفنا دورة الملحمة .

ثلاث برقيات على ورق الحمحمة

١ – إلى الوطن الأم :

ألقفتنا ثديها الأم الرءوم
فاعتصرنا لحمها فينا وزاولنا احتطاب الشعر ،
هذى ساحة الأوزان . . ألقت سرها فينا
فلم نبرح قراءات الفصول :
(أقبل الجند من الزاوية النار إلى كل الزوايا
خوضت أقدامهم فى الماء حين استحلبوا
الرؤية فألقوا ماسة النهر على صدر السهول)
إنهم جندك ساروا فى دروب المملكة
فامنحيهم شارة الوصل فقد آن الأوان

واذكريهم فى الليالى الحالكة
قبلما يخطبك الصبح وتمضين إلى مقصورة
العرس بحناء الزمان .

٢ – إلى شاعر كثيرا ماكنت أصادفه :

كنتَ فى كل مقهى تعيرنى بالجواد الذى أنت صانعه
فى قصائدك المعلنات وفى كل سوق أراك تساوم
فى السر من يشتريه . .
فهل تشهد الآن أرضى التى بايعتنى إلى سفر
فدخلت القصائد أختار خيل السبيل ؟

٣ – إلى مواطنى بابل :

تتفصلون معى قرى على الصحراء ، ندخل منزل
الإفطار ثم نشاغل الرؤيه بطرف رغيفنا المبلول ،
هل تتبلغون معى ؟
فكل عشيرة مالت على الصحراء كانت تقتفى أثرا
لبابل . . ها هو الصيف استقر جواده فى الماء
حين توافدت أسماء بابل :
إن بابل تنده الثيران من ثكناتها

فتجيء عالقة بها ريح الفحولة . .
● إن بابل تلبس الأشعار تاركة على
جسدى غطاء قرابتى لقصيدة الأرض
المتاحة . .
● إن بابل لا ترى فى الشمس غير حصانها الطينى
تعقله وتمشى بيننا أنثى المسافة . .

٢ – فصل التعميد

يتبلغون شعيرة الرؤية وأنت مصاهرات النهر فى
جسدى فأفصح عن هوى جسدى المبطن بالدرابك
– أيها المتفسرون خذوا جواد قصيدتى سفرا –
أنا أتورث الأشعار فى ذكرى حلول الخيل ، لى
وجه على الصحراء طار معمدا .
● الرب من البطن دعانى ، ومن أحشاء أمى ذكر اسمى ، وجعل
فمى كسيف حاد ، فى ظل يده خبأنى وجعلنى سهماً مبرياً .
● هذه ماسة الماء من يشتريها ويمشى على حافر
الخيل يذبح ناقته ويقيم الخراج . .
(أبى كان يسألنى :

– إن عبرت المضيق فهل تعبر الخيل ؟
– تعبر ،
ليس الذى بايع الأرض مثل الذى باعها)
● وفيما كان جميع الشعب يسمعون قال لتلاميذه :
احذروا الكتبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة ، ويحبون
التحيات فى الأسواق ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والمتكآت
الأولى فى الولائم .
أبى كان فارس أمى الجميلة
ينازلها فى عراك الفصول وينزف فى آخر الليل
– هذا دم فى القلوب وهذا دم فى الخرائط –
علمنى أن أهز الجياد وأرحل فى شاحنات الصهيل ،
هى الأرض ساخة أبداننا نتفرط فيها قصائد – أفدنة
من خيول وطيراً أبابيل :
– سيناء يا امرأتى العاشقة
– لمن تنشرين الثياب على حافة الشاطئين ؟
– لأهلى الذين يجيئون فى ساعة الاغتسال
– لمن تشخبين حليب الفصول ؟
– لطفلى الذى لا يريد الفطام
– لمن تسكنين نواصى الجبال ؟

– لأهلى الذين يبيتون تحت حروف الهجاء .
فقومى إلى الدرس نكتب أسماءنا فى كتاب الوصول
ونقرأ : كان انتظارك لى جمرة وانتظارى الجواد .

● قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى ، لأن الشتاء قد مضى والمطر زال ، الزهور ظهرت فى الأرض ، بلغ أوان القضب وصوت اليمامة سمع فى أرضنا . . يا حمامتى فى محاجىء الصخر ، فى ستر المعاقل أرينى وجهك .

سرتُ فى رأس الكتيبة
غرغرات النهر فى صدرى وأزهار
المسافات الغريبة
صحت يا أجنادها :
عبوا نبيذَ الأرض فى يوم يطول
وامنحونى من هويات الفصول
ملمحاً يحمل فى الرقص تعابير الجسد
صحت يا أجنادها : عبوا نبيذى
واتبعونى . . اتبعونى

٣ – من مدائح الجسد

منشور قتالى رقم (١) :

ورأيتكِ الآن اعتصرتك فى سرير الخوف حين تفتحت
مدن الجسارة ساحباً خيلى إلى شمس المصاهلة ، انتصبتُ
على ردائك ضارباً وجهى بغمد الريح . .
(وجهى فى استدارة كعكة الشعراء فوق موائد السعى الطويل)
أشب عن جوعى ، أخط علامة الجسد المروض فى كتاب
الحرب يمشى السيف مرتفعاً وراء قصائد الصحراء ما بين القصيدة
والقصيدة يطلع النهر المحارب .
ها هنا انتشر الهواء على قميص الأفق حين تناسلت مدن
السماء فما رأيت سوى دمى خمراً معتقة وراء زجاجة
الصحراء ، أفتح للثرى بيتاً ينام على سرير الرى ما بين
الوسادة والوسادة يطلع النهر المحارب .
يلتقى الوجهان تحت أسنة النهر المحارب (كان وجهك
غريناً يفضى إلى قمح البكارة) أنت شاربة دمى
ووراء خط الظهر تنمو نخلتان على عظام الجوع ،
أدخل فى بطانة عرسى – الألوان داخلة وخارجة –

وصوتى لفحة الأرض القوافى :

(ها هى ذى انتظرت طويلا تحت شمس اليتم ،

ربت من عجينة عرسها كعكا لأيتام المواسم)

أشتهى وجهى ، يجىء الوجه معتلياً أعنة صوتى ،

التهبت يداى على طبول الرقص فى الأعراس ، أدخل

فى تواشيح القرابة (ها هى ذى انتظرت طويلا)

أشتهى جسدى ، يجىء إلى من زمن المصادرة الأخيرة ،

تلبس المدن الأليفة ثوبها ، نمشى وراء تسرب الأبدان

فى لحم الصّحارى كان ما بين المسافة والمسافة يطلع

النهر المحارب .

منشور قتالى رقم (٢) :

افتحوا فى الممرات نهرا ،

تداولت الريح أسماء وجهى ، انتظرتك فى آخر

الليل كنتُ على حافة الأرض أحصى دمى قطرة

قطرة فى فراش الخضاب المؤجل ،

إن المسافة باقية بيننا والبلاد استقت

شعرها من تفاعيل صوتى — انتصب أيها النهر —

إن القصائد أولى بيوم الغناء ، تذكرت فى

وجهك الماء . . رائحة الماء فى العشب فاهتز
فى جسدى حائط الرمل والنار دانية صوب
وجهى . . افتحوا فى الممرات وجهاً .

منشور قتالى رقم (٣) :

ربط الجند أفراسهم واستراحوا على تلة — ها هنا الماء —
حلوا ضفائرهم شعرة شعرة وأمالوا الرءوس على
عشبة الرى — يستحلبونك غرغرة ، حجراً فى الحلوق —
هنا الأرض قد شمرت عن بنيها ، تنخبت الماء فى مربض
الخيل : هل كنت قائمة بينهم أم يد الله حلت أم الماء
قد خاطب الرملَ باللغة الغرينية حتى استحالت كتائبهم
شجراً شجرا . .
ها هى ذى الأرض قد هاجرت فى ثيابهم ، هاجرت فى الدما
التى حملوا ، فى الرياح التى بسطت ريشها ، فى العصافير
حين ترسمت الماء فى قلة الهاجرة .

٤ — آخر الأناشيد فى صحائف التجويد :

إنى انتظرتك ألف عام كى تجىء
يابدر سيناء المدلى فى رقاب الخيل ،

حلم أنت أم نار النبوءة من جديد .
(هذه الأرض التى تأتى وتأتى ،
كم سهرتُ الليل أغزوها بأحجار النعاس)
إنى انتظرتك فى فصول الغوث وجهى شارقى
ويداى عكاز السبيل
أنشق تحت جدارك الليلى أضرب فى الدجى
قيثارتى وأقول يا زمن الرحيل
هيىء لنا داراً بقلبك . .
إننا متسولون على رصيف الفاجعة
إنى انتظرتك فاعتصرنى بذرة الشهوات فى
الأرض التى حملت بجسمى النار وانثرنى على
الصحراء لحماً للطيور الجائعة .

* * *

ولن أحاول هنا التعامل مع قصيدتى كما حدث مع القصيدتين السابقتين ، إذ كيف يصح ذلك ؟

ولكنى سأكتفى فقط بالإشارة إلى الظروف والملابسات التى صاحبتنى فى أثناء كتابتها . فالقصيدة وردت ضمن المجموعة الشعرية التى صدرت لى فى نهاية عام ٧٧ عن الهيئة العامة للكتاب . . وفى البداية أعترف بأن كل قصائد المجموعة قد كتبت كلها خلال عام ٧٧ ، وكان من نصيب

هذه القصيدة ثلاثة الشهور الأخيرة من العام نفسه (أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر) وقد أغفلت الجهة الناشرة ذكر تاريخ كتابة القصائد ، إذ أسقطتْ من عدد صفحاتها واحدة تحمل ذلك التاريخ وهو عام ٧٧ . وقد كتبتُ أجزاء القصيدة الثلاثة (الأول والثالث والرابع) فى فترة احتدام المعارك فى سيناء ، وأما الجزء الثانى فقد تم الإعداد له وصياغته فى فترة وقف إطلاق النار.

وقد كان يراودنى منذ لحظة التهيؤ لكتابتها بعض الأفكار التالية :

١ – الارتكاز على أكثر من بحر من بحور الشعر (التفعيلات) لكسر حدة الرتابة والملل نظراً لطول القصيدة ، وكذلك للاستفادة من طاقة كل بحر من البحور.

٢ – الاستفادة من الجو النفسى العام الذى كان يفرض نفسه فرضاً على حياتنا ، خاصة فئات الشعراء والمثقفين : المنشغلين منهم بهموم وطنهم ، والغارقين منهم فى طوفان تنطعهم العبثى .

٣ – الاستعانة إلى أقصى حد بمكونات التراث الدينى الضخم خاصة القرآن والتوراة ، لما سبق أن ذكرته بأن شعوراً دينيًّا طاغياً كان يسيطر على أذهان المقاتلين فى لحظات الصدام والتخطى .

٤ – فى تلك الفترة أو قبلها بقليل كنت منشغلا بالإعداد لكتابة قصيدتى «أسفار الملك الضليل» وهى عن امرئ القيس ومحاولاته المستمرة لاسترداد ملك أبيه الضائع . ولذا فقد سيطر علىّ هذا الشعور –

عن قصد وعن غير قصد أحياناً – بإشارات وردت فى سياق القصيدة .

٥ – الاستفادة بجو العلاقات الحميمة والذى يربطنى بقريتى « بابل » وهى واحدة من آلاف القرى المنتشرة فى دلتا مصر . وهو الجو الذى لا أستطيع التخلص منه كثيراً .

وأخيراً نحن لانقطع جازمين بأن ثلاث القصائد التى انتهينا الآن من الحديث عنها كرؤية يوتوبية لزمن الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ٧٣ هى كل ماكتب حول هذا الحدث الهام . بل كدنا نضم إليها قصيدتى الشاعرين صلاح اللقانى « المخاض » ووليد منير « العاشق الذى يأتى مع النهر » لأن بها بعض الإمكانات التى تقربها من الدائرة الصعبة التى تلتف حولها دراستنا ، وهى « التصور اليوتوبى لزمن الحرب » لولا فقدانها لأهم عنصر نحن بصدد البحث عنه . وهو أن شخصية كل منهما – أى الشاعرين – والمتمثلة فى « الأنا المتكلمة والفاعلة معا » لم تكن حاضرة حضوراً أكيداً ومتعمداً .

فمثلا فى قصيدة اللقانى وهى التى كتبها فى زمن الحرب ، كان يترك لنفسه العنان فيأخذه التداعى المتواصل بدون ضوابط ملحمية . فبعد أن يقول :

« يامصر صام المسلمون على السويس
وأفطروا فى داخل الأرض الحزينة
فكأنما قام الحسين ، تواصل الرأس القتيل

وجسمه المدفون فى أرض العراق
ومشى كما تمشى الجداول فى أديم الأرض
أوتمشى القوافل فى غبار الحج أويسرى البراق »
يعود فيقول فى نهاية القصيدة :
« واليوم حين أراك ترتعشين فى ماء
المخاض أصبح مابين القبور
إنى ولدت فقيدوا تاريخ ميلادى
على رمل العبور »

إنه لم يبذل جهداً فى اكتشافها والدخول معها فى مخاطرة البعث كما فعل غيره ، بل رآها تكتشف نفسها وحدها فى ارتعاشة المخاض ، وكان هذا إيذانا باكتشاف نفسه هو .

وفى قصيدة وليد منير . . فبرغم توافر عنصرى الكثافة والتركيز فيها فإن « الأنا » التى تثبت دوره فى لحظة الفصل لم تكن متواجدة كذلك . فهو عندما يقول :

« يخرج الشهداء من النهر ليلا ويندفعون
إلى طور سيناء ، يندفعون إلى حيث تبدأ أوتنتهى
دورة الزمن – اللحظة المشتهاة – الخطى المستميتة
هل تقرءون كتاب العذابات . . هل تسمعون حديث

الضحايا إلى الجسر . . هل تنظرون إلى ذلك الحيز الدائرى
من الأفق . . ؟
هذا هو الموت يأتى خفيفاً وتلك هى الشمس تشرق
من فوهات البنادق ، تعبر أحذية الجند قنطرة بعد
أخرى . . تجىء الحبيبة فى ثوبها القرمزى ؟
من آخر الأرض كى تلبس التاج . .

فهو عندما يقول ذلك ، فإنما يذكرنى بدور المؤرخ العسكرى الذى يصف خطوات المعركة خطوة خطوة . . ومايؤكد أن قصيدته تلك لم يكتبها فى زمن الحرب فإن نشرها جاء متأخراً جداً (عدد أكتوبر ٧٧ من مجلة الكاتب) .

وفى ختام ماعرضناه لهذه المرحلة نود أن نشير إلى الآتى :

١ – إن القصائد الثلاث التى اعتمدنا عليها كمرتكز لتحقيق ما سميناه « بالتصور اليوتوبى لزمن الحرب » قد ثبت يقينا أن أصحابها كانوا ممن قاتلوا فى هذه الحرب ، وأن قصائدهم قد كتبت فى ساحتها ونشرت جميعها فى توقيت قريب منها . فقصيدة عبد الصبور منير نشرت فى عدد فبراير ٧٤ من مجلة الطليعة .

وقصيدة الحوتى نشرت فى عدد أبريل من نفس العام فى نفس المجلة .

وقصيدة كاتب الدراسة نشرت أجزاء منها فى أحد أعداد

روز اليوسف فى نوفمبر ٧٣ تحت عنوان « تراجيديا الساعة الثانية بعد الظهر » وأجزاء أخرى فى مجلة الإذاعة والتليفزيون تحت عنوان « إيقاع الدم الراقص » فى أحد أعدادها من نوفمبر ٧٣ . وقد أرسلها أصحابها إلى الأماكن التى نشرت بها من الميدان .

٢ – إنه كان بالإمكان التوقف طويلا أمام هذه القصائد شرحاً وتحليلاً ، لما تحمله من طاقات شعرية فضفاضة . . لكننا اكتفينا بعرضها كاملة تاركين للقارئ فرصة مشاركتنا فى البحث والتأمل لما فاتنا ذكره .

٣ – إننا اكتفينا بالإشارة السريعة لقصيدتى « وليد منير وصلاح اللقانى » لنفس الأسباب التى ذكرناها عند التعرض لها . . وإلا كنا ألحقناهما بسابقاتها .

٤ – إننا اعتمدنا على النصوص التى توفر لنا الحصول عليها ، واعتبرناها شاهد صدق على ماحدث فى زمن الحرب ، ونعتذر للذين لم يسعفنا ضيق الوقت بالعثور على أعمال مماثلة لهم فى مستوى ماأردنا الوصول إلى تحقيقه من وراء هذه الدراسة .

٥ – لم تكن هذه هى السابقة الأولى التى يستشهد فيها كاتب دراسة بنص من نصوصه حين عرضت قصيدتى « الوقوف بامتداد الجسد على قصيدة الساعة الثانية » فقد سبقنى إليها الكثيرون ، ومنهم على سبيل المثال الدكتور عز الدين إسماعيل فى كتابه « الشعر العربى المعاصر » حين استشهد فيه بنص من نصوصه الشعرية برغم أنه ليس فى عداد الشعراء .

والآن وبعد أن أفضنا فى الحديث عن الممارسة الإبداعية للشعراء المحاربين الذين استقوا معالم إبداعهم من قلب اللحظة المتفجرة فى زمانها ومكانها ، نأتى إلى دور الشعراء غير المحاربين من خلال نشاطهم الإبداعى المثار بفعل الحرب .

وكثيرون هم الذين استثيروا بفعل ماحدث فى زمن الساعة الثانية – شعراء وغير شعراء وبجميع طوائفهم – فأخرجهم ذلك عن صمتهم الثقيل . . ولن يعفيهم العذر بأنهم كانوا بعيدين عمايجرى داخل ساحة اليوتوبيا – القوات المسلحة التى أخذت على عاتقها فى صبر وصمت الإعداد لهذا اليوم الذى جاء – لن يعفيهم ذلك عن أن يكونوا على مستوى تلك اللحظة الخارقة ، وهم الدارسون المتأنون لطبيعة هذا الشعب ولقدراته الكامنة ، فإن توارت يوما تحت أى ظرف من الظروف القهرية والضاغطة فإنما إلى حين – إذ كان عليهم أن يكون لهم المشاركة الفعالة فى استكناه موطن الأمل ، فيعينون أمتهم على الوصول إلى ينابيع الرؤية الجميلة داخل مسالك الزمن الوعرة ، بدلا من أن يكون حلول الساعة الثانية عليهم بمثابة مفاجأة ماكانوا يتوقعونها . . فأخرجهم وقعها من كهف صمتهم الثقيل . لكنه كان خروجاً متفاوتاً فى درجات عطائه الشعرى . .

فهو كان عند صلاح عبد الصبور يماثل خروج الحشرجة من حلق مريض . ففى ثانى يوم من أيام الحرب كتب قصيدته « رسالتان إلى

الميدان »، مستهلا بها القول :

« تمليناك حين أهل فوق الشاشة البيضاء

وجهك يلثم العلما

وترفعه يداك لكى يحلق فى مدار الشمس

حر الخفق مقتحما

وكان الوجه مبتسما

ولكن كان هذا الوجه يظهر ثم يستخفى

ولم ألمح سوى بسمتك الزهراء والعينين

ولم تعلن لنا الشاشة نعتاً لك أو اسماً

ولكن كيف كان يسعك اسم يحتويك

وأنت فى لحظتك العظمى

ثم كتب محمد إبراهيم أبوسنة فى تلك الفترة أيضاً قصيدته « خفقة العلم » التى يقول فيها :

« أفديك ياسيناء

وزغردت من قلبها السماء

وانهمر الجنود

يسابقون الريح والأحلام

يقبلون كل ذرة من الرمال

وترسم الدماء

خرائط النهار والمساء »

ثم يمضى قائلا فى نفس القصيدة :

« وفوق صخرة عالية الإباء

رفرفت أيها العلم

ياقلبنا المليء بالأشواق والغضب

فى كل خفقة تقول مصر

حكاية نسيجها الضياء والظفر »

وبرغم ماللشاعرين من تجربة طويلة فى مجال الممارسة الشعرية ، استغرقت ربما أكثر من نصف عمر الواحد منهم — فهما من جيلين متقاربين — إلا أن ذلك لم يتح لهما الارتفاع إلى مستوى لحظات الانصهار العظمى التى سبقت لحظة رفع أول جندى مصرى للعلم على أول منطقة تم تحريرها من سيناء .

— ربما لأنهما لم يخرجا بعد من المنطقة الكلاسيكية للقصيدة الجديدة . . فمازال اهتمامهما الإبداعى منصباً على الاعتناء بالقافية ذات الرنين العقيم ، واستمساك كل منهما بروح الرومانسية الهشة التى أطاحت بها وبكل مافى مستواها من غنائيات مرضية ملحمة التوهج الجمهورى المركب فى زمن الساعة الثانية ومابعدها .

ان جيلا جديداً من الشعراء المصريين — وهم من أطلق عليهم جيل أكتوبر — قد استطاعوا كسر كل تلك الحواجز النفسية التى أعاقت كثيراً

تطور القصيدة المصرية الجديدة ، وإدخالها إلى آفاق أكثر رحابة – وسيكون ذلك مجال دراسة أخرى – ولكن هذا الخروج يأخذ شكله الدرامى العنيف عند أحمد عنتر مصطفى فى قصيدته « العبور إلى زمن البنادق » ولاأظن أن الشاعر قد كتب قبلها أوبعدها قصيدة أخرى فى مستواها ، لما تحفل به من عنف وجسارة ودقة فى الصياغة . وربما يكون ذلك راجعا إلى أن الشاعر عاش تجربة الجندية قبل زمن الحرب بقليل ، وجرب معاناة ماكان يعانيه أقرانه الذين استبقوا بعده فى الخدمة إلى زمن الحرب . . لذا جاءت قصيدته شديدة الالتصاق بجو الحرب وبمناخها الحار . يقول فى مطلعها :

« وطال انتظار النوافذ للشمس
طال ارتقاب الزجاج لوقع المطر
تدافعت النار وامتطت الريح
(كان جواداً يحمحم تحت سفوح الخطر)
فعاد الصهيل ليملأ ليل المدائن يأساً ورهبة
يدك القلاع فينتفض الشر ذعراً ،
حوافره تنهش المستحيل . . »

وتمضى القصيدة فى توهجها العنيد إلى أكثر اللحظات عنفاً :

« تقاتل فيك القناطر ، تصمد فيك السدود
الحجارة والرمل والناس ، كل الشوارع

كل السنابل ، كل الطيور التى هجرتك قديماً .

تجيئك تأوى إلى فوهات البنادق »

ولولا السطور الأخيرة من القصيدة التى أفسدت علينا كل ماأشعلته القصيدة فينا من تفجر ، لكنا قد قلنا عنها الكثير :

« ونحن على الشاشة المستضاءة نرقبهم

يركزون العلم

يتدفق فينا النشيد جديداً يجمد ظل

الأسى والسأم »

ونصل فى ختام هذا العرض السريع إلى قصيدة الشاعر محمد فهمى « طقوس العشق » ،وهى بمثابة خروج آخر من حالة الصمت الثقيل . وقد حاول الشاعر أن يبذل جهداً جهيداً فى نقل انفعاله بماحدث فى زمن الساعة الثانية إلينا . لكن يبدو أن الشاعر كتب قصيدته فى فترة متأخرة جداً – إذ جاء نشرها فى عام ١٩٧٦ بمجلة الثقافة العراقية – ولولا تردى أجزاء كثيرة منها فى بحر النثرية ثم اعتداد الشاعر بالقافية التى أوقعتها فريسة الرتابة والتقليدية ، لجاءت أكثر حدة واتساقاً . .

ولا يمكن أن نغفل منها هذا المقطع المثير :

« حين صار المكان انعتاقا من الأرض

صار معابد يجثو عليها الأحباء

يحتضنون ثراها وينزرعون بيارق

(تصدق أولاتصدق أن الهواء
استعاد شذاه وأن السماء استراحت على الرأس)

* * *

حين تصير الدروب خطوطاً صغيرة
يحتويها كطفل أثير لديه ويلبسها
من تعشقه حلة وقلادة . . »

* * *

وبعد : فمن خلال ماعرضناه من نماذج الشعراء غير محاربين نحب أن نلفت النظر إلى الآتى :

١ – إن القصائد التى كتبها شباب الشعراء يغلب عليها طابع الحدة والسخونة . وهذه ظاهرة صحية فى حد ذاتها ، إذ توافرت فيها دلائل انتمائهم الحقيقى لماحدث فى زمن الحرب ، وهى التى قامت على أكتاف أقرانهم ، بعكس مارأيناه فى قصيدتى عبد الصبور وحجازى ، إذ غلبت عليهما السكينة والزخرفة اللفظية وقلة المعاناة .

٢ – إن الحساسية الشعرية الجديدة والتى اعتنقها الشعراء من الشباب قد أتاحت لهم إمكانية المغامرة والكشف ، والبحث عما هو جديد دائماً من حيث الصياغة والتقنية الشعرية .

٣ – إن مستقبل القصيدة المصرية مرهون بمعطياتها شبابها بعد ماتوقف أصحابها القدامى فى دائرة عجزهم الذى لم يعد يقدم جديدا .

٤

فصل الختام

والآن نعترف فى ختام هذه الدراسة الموجزة ، بأن محاولتنا فيها لم تكن سوى اجتهاد متواضع للوصول إلى أول المعنى . . ولذا فنحن لانعتبرها سوى موطئ قدم لتبدأ من عنده مسيرة البحث الطويلة عن مضمون هذه اللحظة — الساعة الثانية بعد ظهر السادس من أكتوبر ٧٣ — والتى تساوى فى عمر الزمن دهراً بأكمله . .

ونعترف كذلك بأن ينابيع القوة الجمالية الخارقة ، التى فجرتها شرراً خطى الجند فى عبورهم واقتحامهم وتصديهم مازالت فوق كل الصياغات التى قيلت ، والتى يمكن أن تقال مستقبلا . .

وليس هذا تحيزاً منى لماحدث فى زمن أكتوبر ، ولكنه انتماء حقيقى نما وترعرع فى دمى طيلة عشر سنوات كاملة داخل مملكة اليوتوبيا ، بما منحنى هذا الجهد لكى أقول كلمتى ، فاتحا الباب على مصراعيه أمام مجاهدات الآخرين ليقولوا كلمتهم . .

صدر من هذه السلسلة :

٤٤ – الأمثال الشعبية	محمد قنديل البقلى
٤٥ – التعريف بالاقتصاد	د . حسين عمر
٤٦ – المستوطنات اليهودية	حسن فؤاد
٤٧ – بدر وفتح	محمد فرج
٤٨ – الفلسفة والحقيقة	د . عبد الحليم محمود
٤٩ – الطب النفسى	د . عادل صادق
٥٠ – كيف نفهم اليهود	د . حسين مؤنس
٥١ – الفن الإذاعى	د . فوزية فهيم
٥٢ – الكتابة العربية	محمد شوقى أمين
٥٣ – مرض السكر	د . أحمد غريب
٥٤ – شوقى أمير الشعراء . . لماذا ؟	فتحى سعيد
٥٥ – الفلسفة الإسلامية	د . أحمد عاطف العراقى

الكتاب القادم :

طه حسين يتكلم

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٢٥٤
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٣٩٥ – X

١/٧٨/٢٠٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هـذا الكتـاب

جولة خاطفة بين النار والبارود والكلمة الصادقة . تصور للقارئ تلك المعايشة الواعية لشباب الشعراء مع ملحمة العبور فى ٦ أكتوبر . وكيف فجر هذا الحدث الجليل مشاعرهم ووجداناتهم فكتبوا أروع سجل لمعركة النصر .

